مجلة المحترف لعلوم الرياضة و العلوم الانسانية والاجتماعية

المجلد (11) العدد (03) السنة (2024)
الصفحة 473-488

جهود إخوان الصفافي مسألة التوفيق بين الدّين والفلسفة

The Ikhwân al-Safâ's efforts in combining religion and philosophy

ط.د. أسامة صيقع[1*]، د.عمر برابح[2]

مخبر علم النفس العصبي والاضطرابات المعرفية السوسيوعاطفية

[1]جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

siga.oussama@univ-ouargla.dz

[2]جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

berrabah.omar@yahoo.fr

معلومات البحث

تاريخ الاستلام:03/08/2023
تاريخ القبول:2024/06/30

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

الملخص:

تعالج الدّراسةقضية مهمة في فكر إخوان الصفا، والمتمثّلةفي العلاقة بين الدّين والفلسفة، أو الحكمة والشريعة،ورغم أنها قضية كلاسيكية في الفكر الإسلامي، حيث طرحها العديد من الفلاسفة قبلهم سواء في المشرق من خلال الفرابي وابن سينا، والمغرب من خلال ابن رشد وابن طفيل، مع ذلك سوف نتناول قضية التوفيق عند إخوان الصفا، من خلال تقديم قراءة جديدة على غرار القراءات السابقة، فقد جعلوها محور اهتمامهم وفلسفتهم،ولم يسيروا مثل سابقيهم، فلم يغلبوا الدين على الفلسفة مثلما فعل الكندي، ولم يغلبوا الفلسفة على الدين مثلما فعلت المعتزلة، بل هدفهم نزع التعارض بين الدين والفلسفة، وإثبات أن غايتهما ومصدرهما واحد، وذلك من خلال ركائز تمثلت في: براهين وجود الله، فكرة النّبي، فكرة الظاهر والباطن،والتأويل.

الكلمات المفتاحية: إخوان الصفا، الدين، الفلسفة، التوفيق ، التأويل.

ABSTRACT

The study addresses an important issue in the thought of Ikhwân al-Safâ, namely the relationship between religion and philosophy, or wisdom and sharia, although it is a classic issue in Islamic thought, where many philosophers raised it before them both in Orient through Al-Farabi and Ibn Sina, and The Maghreb with Ibn Rushd and Ibn Tufayl. However, we will address the issue by introducing a new lecture along the lines of previous lectures, they made it the focus of their attention and philosophy, and they didn't follow their predecessors, they didn't give the primacy for philosophy over religion like Al-kindi did. And they did not give pre-eminence for philosophy on religion, as did Al-mu'tazila, but their aim was to transcend the conflict between religion and philosophy, and to prove that the purpose and source of both is one, through several cornerstones: Proof of God's existence, the prophet's notion, the notion of the perceived and the unperceivable, the interpretation.

Key words:Ikhwân al-Safâ', religion, philosophy, combining, interpretation

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

يمثلإخوان الصفا محطة مهمّة في تاريخ الحضارة الإسلامية، وذلك لما قدّموه من إسهامات متنوعة في مختلف التخصصات كالفلسفة والعلم والأدب والمنطق وغيرها. ورغم عدم وضوح مقاصد فلسفتهم، وأيضا غموض أشخاصهم واختلاف المؤرخين حول زمن نشأتهم، إلا أنّ ذلك لم يمنع من اعتبارهم أوّل من قدّم موسوعة فلسفية في تاريخ الفكر العربي خلال القرن الرابع الهجري أي العاشر ميلادي. وقد اشتملت موسوعتهم على أ عقد المشكلات والقضايا التي اهتم بها الفكر الإنساني من الإشكاليات المختلفة كعلاقة الإنسان بالوجود الخارجي، وعلاقته بالآخرين، وكيفية الوصول للغايات النهائية، وتحقيق السعادة المرجوة. ولعل أبرز القضايا التي سعى إخوان الصفا لتقديمها والبحث فيها، وشغلتحيزا كبيرا من أبحاثهم هي فكرة التوفيق بين الدين والفلسفة.

ولم يكن إخوان الصفا أوّل من طرح إشكالية العلاقة بين الحكمة والشّريعة في إطار الفكر الإسلامي؛ بل سبقهم إلى ذلك مفكرون حاولوا التوفيق بين الدين الإسلامي والنظريات الفلسفية المختلفة . وقد كانت الغاية منها نزع التعارض والاختلاف بين التفكير الديني والتفكير الفلسفي، وجعل هدفهما واحدا، وهو الوصول إلى معرفة الله، وفهم الوجود ، وامتلاك الحقيقة النهائية لهذا العالم، ونيل السعادة القصوى . ولعل أبرز من مثّل هذا الاتجاه في الفلسفة الإسلامية الفيلسوف الكندي (805-873م)، كأول فيلسوف عربي حاول التّوفيق بين الدين والفلسفة، إلى جانب العديد من الفلاسفة الآخرين، على غرار الفارابي(870-950م)، وابن سينا(980-1037 م) وغيرهم.

إنّهدفنا من هذه الورقة البحثية ، معرفة موقف إخوان الصفا من إشكالية التوفيق بين الشريعة والحكمة أوبين الدين والفلسفة، وكيف قدّموا فكرة جديدة في معالجتهم لقضية التوفيق بين المجالينعلى غرار جهود الفلاسفة السابقين. ومنه نحاول الإجابة عنالإشكالية الآتية: إلى أيّ حدّ استطاع إخوان الصفا أن يرسموا حدود العلاقة بين الحكمة والشريعة؟ وإلى أي مدى تمكنوا من تعيين حدود كل مفهوم؟

2. مفهوم الدينوالفلسفة عند إخوان الصفا: التعرض لمفهوم كل من الدين والفلسفة عند إخوان الصفا عنصر مهم لفهم موضوع البحث، لأنه يستحيل فهم التوفيق دون التعرض لمفهوم كل من الدين والفلسفة عندهم. ولذلك سوف نقوم بتحديد معانيهم بشكل واضح لما يحملانه من أهمية قصوة في فكر إخوان الصفا والتوفيق بشكل خاص.

2. 1. مفهوم الدينعند إخوان الصفا:

جعل إخوان الصفا من الدين الإسلامي نقطة انطلاق فكرهم، وتأتي قضية التوفيق بينه وبين الحكمة لديهم جراء تشبعهم بالثقافة الإسلامية وتعاليمها، وبالتالي تمت مراعاة مبدأ أسبقية الدين نظراً لمكانته عند إخوان الصفا، وجعله محور اهتمامهم وفلسفتهم.

وممّا لاشك فيهأنّ التعرض لمفهوم الدين لدى إخوان الصفا يقتضي منا قراءة رسائل إخوان الصفا كلّها من أجل استخراج أهم النصوص التي أورد وها بخصوص الدين. وفي الحقيقة عند تفحص الرسائل ، وجدنا الكثير من النصوص التي تحمل مصطلح الدين، بل أجزاء الرسائل كلها، مما يؤكد أهميته بالنسبة لهم. وجاء مصطلح الدين في رسائل إخوان

الصفا بصيغ مختلفة، كل صيغة تختلف عن الثانية ؛ فمثلا نجدهم يشيرون إلى أنّ الدين معناه علم الميعاد ، أو اليوم الآخر،وهذا في قولهم: "والخامس علم المعاد ، وهو معرفة ماهية النشأة الأخرى، وكيفية انبعاث الأرواح من ظلمة الأجساد، وانتباه النفوس من طول الرقاد ، وحشرها يوم المعاد ، وقيامها على الصراط المستقيم ،وحشرها لحساب يوم الدين، ومعرفة كيفية جزاء المحسنين وعقاب المسيئين"(إخوان الصفا، 2017، صفحة 3 ج1).

لهذا تعرض إخوان الصفا للصورة التي يكون عليها الناس بعد يوم القيامة، وكيف يتم محاسبهم على أفعالهم، "فمن عمل خيرا كان جزاؤه الثواب في الآخرة، ومن عمل شرا كان مآله العقاب، بعدما يخرج الوالي، ويخرج الدواوين، ويحضر الكتاب، ويدعو المنيبين للعرض وتعطى أرزاق المستحقين، ويزداد قوم وقوم ينقصون، ويثبث قوم وقوم يسقطون، وهكذا تجري حكم النفس الكلية في الأنفس الجزئية يوم الدين"(إخوان الصفا، 2017، صفحة 41 ج3).

كما يشير إخوان الصفا إلى مصطلح الدين بأنه كيان فطري إنساني ليس مقيدا بشروط أو قيود، وإنما يكفي الاتفاق مع جماعة معينة ليمارسوا دينا معينا، وسيتحقق ذلك. وبالتالي يملك الإنسان حرية اختيار الدين، يقول إخوان الصفا: "واعلم يا أخي أن دولة أهل الخير يبدأ أولها من قوم علماء حكماء وخيار فضلاء، يجتمعون على رأي واحد، ويتفقون على مذهب واحد ودين واحد، ويعقدون بينهم عهدا وميثاقا أن لا يتجادلوا ولا يتقاعدوا عن نصرة بعضهم البعض"(إخوان الصفا، 2017، صفحة 159 ج1).

نلاحظ من خلال هذا النص ، أنّ إخوان الصفا لم يذكروا دينا محدّدا ومعيّنا، مثلا لم يختاروا الدين الإسلامي باعتبارهم جماعة مسلمة في الأغلب، ولم يختاروا حتى الأديان السماوية الأخرى، على أساس أنّهم جماعة منفتحة على الدّيانات الأخرى، والسبب في ذلك احترامج ميع الأديان، ولا يهم أيّ الأديان تعتنق ؛ فالأهم تحقيق وحدة إنسانية متماسكة، يسودها الأمان والتعاون والعيش المشترك. ويشير كذلك إخوان الصفا إلى مصطلح الدين بأنّهعلم من العلوم المختلفة الواجب على الإنسان تعلمها، لأنّه يحوي القواعد والأسس التي يسير عليها الإنسان قصد تحسين ظروف حياته في الدنيا والأخرى، يقول إخوان الصفا: "واعلم أنّ الفقهاء وأصحاب الحديث وأهل الورع ، نهوا عن النظر في علم النجوم، وإنما نهوا عنه؛ لأن علم النجوم جزء من الفلسفة، ويكره النظر في علوم الفلسفة للأحداث والصبيان، وكل من لم يتعلم علم الدين ولا يعرف من أحكام الشريعة قدر ما يحتاج، وأما من قد تعلم علم الشريعة وعلم أحكام الدين فإن نظره في علم الفلسفة لا يضره"(إخوان الصفا، 2017، صفحة 139 ج1).

ويرى إخوان الصفا أنّ الدّين هو"الطاعة من جماعة لرئيس واحد ينتظر منه نيل الجزاء"(إخوان الصفا، 2017، صفحة 164 ج3).

والطاعة الحقيقية لها عنصران: عنصر التصديق والاقتناع القلبي بضرورة هذه الطاعة، والعنصر الثاني هو ترجمة هذا التّصديق إلى ممارسة عملية(معصوم، 1988، صفحة 125).

معنى هذا أنّ الدّين حسب إخوان الصفا ينقسم إلى قسمين:

- **الدين النظري**:ويمثل الجانب الاعتقادي والإيماني في الدين، وهو الجانب الأهم في نظر إخوان الصفا، لأنه يمثل روح الإنسان الحقيقية من ضمير وعقل، وإحساس وانفعال.
- **الدين التطبيقي**: ويمثل الجانب المادي والعبادات في الدين، باعتبار أنّ الدين جاء لفرض مجموعة من العبادات والفرائض الواجبة على الإنسان الإتيان بها، مثل الصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها.

وما يؤخذ من مفهوم الدين لدى إخوان الصفا، تفضيلهم الجانب الاعتقادي للدين عن الجانب التطبيقي والأدائي؛ لأن في نظرهم،أداء العبادات والفرائض أمر يخصّ الإنسان وحده، ولا يقدّم منفعة للمجتمع ولا الأشخاص المحيطين به، ولا يمكن الحكم على الشخص من خلالها، إذ قد تكون خادعة في بعض الأحيان، وهذا عكس الجانب الاعتقادي والإيماني، فهو ينبع من الإخلاص والنية تجاه الأفعال، وبالتالي الإنسان الذي يملك صفاء القلب وروح التسامح والعفو،يكونأقرب إلى الناس، وأكثرهم منفعة لهم. ويؤكد إخوان الصفا هذا في قولهم: "فمن الناس من لا يريد بتمسكه بالدين إلا صلاح الدنيا ومنافعها، فيحرص في أحكام الدين وشريعته من الصلاة والصوم وماشاكلها ويرائي الناس، وبذلك يطلب منافع الدنيا فيكون في حفظه ظاهر أحكام الدين قوام له، ومن الناس من يريد الدنيا لطلب الآخرة وصلاح المعاد، فهم يزهدون في الدنيا، ويتركون الشرور، ويؤدون الأمانات سرا وعلانية، ويعاملون الناس بالصدق، وفي ذلك صلاح أمر الدنيا والآخرة جميعا"(إخوان الصفا، 2017، صفحة 73 ج4).

وفي هذا النص إشارة واضحة إلى أنّ الجانب الاعتقادي والإيمانيفي الدين أهم من الجانب التطبيقي . وربما هذا الطرح من فكر إخوان الصفا يقترب بشكل كبير من الطرح المعاصر؛ فالقضية ليست تفضيل جانب على جانب آخر، وإنما كذلك خطاب نقدي موجه للإنسان المتدين الذي يعتقد أنّه سيدخل الجنة بمجرد أدائه مجموعة من العبادات، في حين قلبه عامر بالحقد والكراهية تجاه الآخر.

يقترب كذلك مفهوم الدين لدى إخوان الصفا من الطرح المعاصر الذي ينتقد بشدة ما يسمى (الدين الوراثي)،باعتبار أنّ الإنسان ابن محيطه والدين يدخل في إطار المحيط، فإن تربى على مجموعة الاعتقادات والعبادات الظاهرية، وقام بأدائهادون البحث في صحتها يكون ضمن الدين الوراثي، وبالتالي يضحى الدين هنا مجرد عادة تتم وفق ممارسات عادية؛ أي يتمّ نزع الجانب الروحي منها، في المقابل يجب على الإنسان البحث عن الاعتقاد الصحيح وغير الجاهز ليكون مبنيا على اقتناع تام مثلما نادت به جماعة إخوان الصفا.

2. 2. مفهوم الفلسفة عند إخوان الصفا:

بعدما رأينا مفهوم الدين لدى إخوان الصفا، لنظرفي مفهوم الفلسفة عندهم، وذلك لأن الفلسفة تعدّ الموضوع الثاني الأكثر أهمية في دراستنا . وإذا كانت الفلسفة الطرف الثاني من قضية التوفيق بين الدين والفلسفة، فإن إخوان الصفا اهتموا كثيرا بالجانب الفلسفي في فكرهم، ولهذا تمّ تصنيفهم فلاسفة، إلى جانب الفلاسفة المعروفين أمثال الكندي والفارابي وابن سينا، حيث جعلوا الفلسفة محور فكرهم، وطريقهم الثاني المؤدي لأهدافهم، إلى جانب اعتقاداتهم الدّينية،ولعلّ المتمعن في رسائلهم، يجد بأنّهم عرفوا الفلسفة في كثير من المواضع، أبرزها قولهم: "إنّ الغرض الأقصى من الفلسفة هو ما قيل إنّها التّشبه بالإله بحسب طاقة البشر كما بيّنا في رسائلنا أجمع، وعمدتها أربع خصال: أولها معرفة

حقائق الموجودات، والثانية اعتقاد الآراء الصحيحة، والثالثة التخلّق بالأخلاق الجميلة والسجايا الحميدة، والرابعة الزكية والأفعال الحسنة "(إخوان الصفا، 2017، صفحة 366 ج2).

ويعني هذا أنّ دور الفلسفة بالنسبة لإخوان الصفا يوصل إلى الحقيقة النهائية لهذا العالم، وهي الوصول إلى معرفة الله وإثبات وجوده والاتصال به، ولا يكون إلا بالنظر العقلي المجرد عن كلّ حس ومادة، وهنا تظهر نزعة تهم الصوفية الأخلاقية؛ فكلّما كسب الإنسان الأخلاق الحميدة وابتعد عن اللّذات الحسّية، كلما زاد تعلّقا واتصالا بالخالق، و قد جاءت رسائل إخوان الصفا على أربع أقسام هي:

أ. **العلوم الرياضية:** (الرياضيات) ؛ والرياضيات أ ربعة أنواع: الأرثماطيقي، الجومطريا، الأسطرنوميا، الموسيقى(إخوان الصفا، 2017، صفحة 63 ج1).

ب. **العلوم المنطقية:** (المنطقيات)، وتشمل ؛المنطق،المقالات،العبارة،صناعةالشعر،الجدل والبرهان ، وهنا يظهر إخوان الصفا متأثرين بالفكر الإغريقي وتحديدا فكر أرسطو.

ج. **العلوم الطبيعية:** (الطبيعيات)؛ وتشمل المبادئ الجسمانية،علمالسماء،العالم،الكون،الفساد،حوادثالجو،علمالمعادن،علمالنبات،علمالحيوان،الطب والبيطرة ، وغيرها، وهنا نلحظ تأثر إخوان الصفا بالأفكار العلمية والفلسفية التي انتشرت زمن ظهورهم، سواء في العالم الإسلامي خلال القرن العاشر ميلادي، من خلال أعمال وإنجازات المسلمين في الطب والفلك، وعلم المعادن وغيرها.

د. **العلوم الإلهية:** (الإلهيات)؛ وهي علم معرفة ال لهسبحانه و تعالى، وهي الغاية النهائية لفلسفة إخوان الصفا(صابر، 1994، صفحة 13).

3. مقومات ومحدّدات التوفيق بين الدين والفلسفة عند إخوان الصفا:

بعد تناول كل من مفهوم الدين والفلسفة لدى إخوان الصفا، ننطلق في تحليل نظريتهم المتمثلة في التوفيق بين الدين والفلسفة، وغرضنا الكشف عن كيفية معالجة إخوان الصفا لمسألة التوفيق، ليس هذا فقط بل معرفة الجديد الذي قدّمه إخوان الصفا فيما يخص هذه القضية.

فالإحساس بالحاجة للتوفيق بين الدين والفلسفة أمر طبيعي يحسه المؤمن المفكر أو الفيلسوف، ومحاولة هذا التوفيق تعتبر إلى حد كبير واجبا لازم الأداء، وذلك ليحقق الانسجام بين معتقده الديني العامر به قلبه، والذي يعتبره فوق كل شك، وإن عسر عليه أحيانا أن يدرك بعض ما جاء به مما لا يتفق تماما والنظر العقلي الصحيح (موسى، 2017، صفحة 54).

1.3. الذات الإلهية (الله) محور التوفيق بين الدين والفلسفةعند إخوان الصفا:

تدور رسائل إخوان الصفا في فلك معرفة الله وإبراز سبل الوصول بتلك المعرفة إلى اليقين؛حيث لا يمكن أن ينتاب الإنسان في ذلك شك أو ريب . وقد وضع إخوان الصفا المنهج المناسب الذي يوصل إلى تلك الغاية، ولذلك نبّهوا على ضرورة التعمق في العلوم والمعارف والاجتهاد فيها، مع أهمية التدرج في الحصول عليها، إذ تبدأ من الرياضيات،

كونها العلم الذي يبحث في المعرفة العقلية للإنسان من خلال التفكّر في العدد ومركزه في هذا الوجود، فيبدأ باستقراء الموجودات والاستنتاج ليصل إلى أمور أكثر منطقية منها التوحيد، وبعدها ينتقل إلى مستوى أكبر ، وهو دراسة الإلهيات، لما تكتسيه من أهمية لدى الإنسان باعتبارها الغاية النهائية التي تنتهي إليها جميع العلوم (عجوب، 2010، صفحة 216).

فالعلم الإلهي يهتم بكل ما يتعلق بالذات الإلهية، كبراهين وجود الله وصفاته.

ونبدأ قضية التوفيق بين الدين والفلسفة من مركز فلسفة إخوان الصفا، وتحديدا فكرة الله، لأنه لا يمكن أن نتحدث عن فكرة التوفيق لدى إخوان الصفا دون التفصيل في فكرة الله، حتى أن إخوان الصفا أنفسهم يضعونها شرط في عملية التوفيق، ومعرفة الله الطابع الأول لكل عمل توفيقي قام به الفلاسفة السابقون، فمن أجل إثبات التوفيق بين ما درسوه ووصلوا له من نظريات فلسفية، وبين ما اعتنقوه من حقائق دينية، كان لزاما عليهم مواجهة المنكرين لهذا الإله من الزنادقة والملحدين، وإثبات وجود الذات الإلهية . ولهذا لجأ الفلاسفة إلى إثباتهم وجود الذات الإلهية كتمهيد لما سيقدمونه من نظرات لاحقة (مهدي، 2011، صفحة 158). وإخوان الصفا على غرار أولئك الفلاسفة لم يخرجوا عن هذا النهج . لذلك نجدهم يقولون: "أشرف العلوم وأجل المعارف التي ينالها العقلاء المكلفون، معرفة الله جل ثناؤه والعلم بصفات وحدانيته وأوصافه اللائقة"(إخوان الصفا، 2017، صفحة 102 ج3).

نفهم من خلال التصريح، أن جماعة إخوان الصفا يؤمنون بوجود الله، و يضعونهأسمى المعارف التي ينتهي إل يها الوجود الإنساني. ليس هذا فقط ؛ بل يجب معرفة الله وكل ما يحيط به من صفات ووحدانية وأوصاف، وبالتالي فإنّ تحصيل المعارف السابقة قبل معرفة الله، تعدّ معارف أولية وتمهيدية فقط، فإن أحسن الإنسان توظيفها، كانت له الطريق نحو معرفة الله، وإن أساء فهمها وأهملها،فلن يتمكن من معرفة الله كالعلوم الطبيعية والرياضية، وبالتالي "تحصيل الإنسان لهذه العلوم لا يكون له نفع إلا بانتهائها إلى العلم الأهم ، وهو غاية العلوم السابقة، وهو الغرض الأقصى والغاية النهائية"(إخوان الصفا، 2017، صفحة 9 ج4).

1.1.3. حجج براهين وجود الله عند إخوان الصفا:

من أجل نجاح عملية التوفيق بين الدين والفلسفة لدى إخوان الصفا قدموا العديد من براهين وجود الله، والهدف منها الوصول إلى معرفة الله عن طريق براهين عقلية ومنطقية من أجل نزع التعارض بين الطريق الديني الموجود في النصوص المقدسة ، والتي قدمت فكرة وجود الله عن طريق الرسل والوحي، وبين طريق العقل ومنهجه الاستنتاجي المنطقي.

ويذكر إخوان الصفا الكثير من براهين وجود الله في رسائلهم، لعلّ أبرزها:

أ. برهان الفطرة:

نبدأ حديثنا مع براهين وجود الله مع برهان الفطرة كأول برهان، وسبب اختياره كأول البراهين ، ربما لأنه برهان لا يحتاج العقل لإثباته؛ بمعنى أنّه فطري وطبيعي يكون موجودا في النفس البشرية عند الضرورة القصوى، وهي حالات تقع

نادرا، وغالبا ما تكون في الحالات التي تسبق الموت مباشرة، فالإنسان وعلى الرغم من نسيانه، أو على الأقل جحوده في بعض الأحيان، وهنا الجحود ليس معناه الإنكار المطلق لوجود الله واستحالة الإيمان به بشكل مطلق حتى الوفاة، بل هناك شعور مرتبط بالفطرة الإنسانية يستدعي هذا البرهان في بعض الحالات عندما تقع في المشكلات والمصائب، ولذلك سمي البرهان الفطري، أيّ أنه يأتي لا شعوريا من النفس الإنسانية كرد فعل اتجاه الخوف الشديد وخشية المجهول الوشيك والمحتوم،(مهدي، 2011، صفحة 169).

وهذا التصور والطرح يلتقي مع الطرح الإسلامي إلى حد كبير، قال تعالى:"وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مرّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسه" (سورة يونس، الآية 12).

وتلك إشارة واضحة من خلال الآية أن الإنسان عندما يكون في مرحلة عصيبة وحرجة يدعو الله، ولكن عندما تتحسن حالته يعيد تجاهله لدعون الله ويطمئن، وإذا وقع مرة أخرى في الحالات العصيبة يعيد إحياءها من جديد، وهكذا يفعل دائما، وبالتالي تضحى فكرة الله لديه فطرية.

كماأنّ إحياء فكرة الله لدى الإنسان ومن ثم نكرانها، قضية خطيرة في الطرح الإسلامي والديانات السماوية بشكل عام، لأن هذا يضعف إيمان الشخص ، ويجعله متذبذبا في معتقداته الدينية وخاصة الإيمان بوجود الله، ومع ذلك ، ذكرناها فقط من أجل توضيح برهان الفطرة. يقول الله تعالى في موضع آخر: "وإذا مسّكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا" (سورة الإسراء، الآية 169).

وهذا النص معناه أيضا، أنّ فكرة الله موجودة في قلب كل إنسان، يستنجد بها وقت الحاجة.

وفي هذا السياق، نضرب مثالا عن برهان الفطرة من الفلم الأمريكي الشهير بعنوان الناجون، وهي قصة حقيقية عن سقوط طائرة فريق الركبي الأوروغواياني فوق جبال الأنديز، عند ما كان من بين الناجين شخص ملحد لا يؤمن بوجود الإله، لكن مع تطور الأحداث وتأزم وضع أصدقائه واليأس من النجاة ، عادت إليه فكرة الله ، وأخذ بالدعاء مع أصدقائه، (لمعرفة تفاصيل أكثر عن برهان الفطرة في قصة الفلم أنظر: الناجونAlive).

وإخوان الصفا يدعمون برهان الفطرة، ويضعونه من أهم براهين وجود الله. ومن أجل ذلك يقولون:"ثم اعلم أن الله تعالى جعل بواجب حكمته في جبلة النفوس معرفة هويته طبعا من غير تعلم ولا اكتساب؛ لتكون تلك المعرفة داعية لها ومؤدية إلى طلب ماهيته ومعرفة آنيته؛ وليكون طلبتها في هذه المعارف داعية لها ومؤدية إلى أحكام جميع العلوم والمعارف الإلهية والطبيعية والرياضية والعقلية والحسية" (إخوان الصفا، 2017، صفحة 90 ج4).

ويظهر من خلال هذا النص، دعم إخوان الصفا لبرهان الفطرة، واعتباره جبلة إلهية مفطورعليها الإنسان، وهي من تقوده لمعرفة الله، وبالتالي حسبهمبرهان الفطرة موجود لدى جميع الناس.

ب. برهان الإبداع:

يعد برهان الإبداع من بين البراهين التي استخدمها إخوان الصفا في محاولة إثبات وجود الله . وكغيرهم من الكثير الذين سبقوهم إلى هذا البرهان، فإن استخدام الإخوان لهذا البرهان، جاء دليلا على إيمانهم الكبير بتسيير الكون من

الخالق والصانع والمبدع، يقول إخوان الصفا: "فإذا فكر الإنسان في هذه الحالات التي ينقل فيها من أدونها إلى أتمها ومن أفضلها إلى أكملها؛ فيعلم بالضرورة ويشهد له عقله أنّ له صانعا حكيما هو الذي اخترعه وأنشأه وأنماه، فإذا تحقق عنده من هذه الحالات ، جعل نفسه عند ذلك مقياسا على سائر أبناء جنسه، فعلم علما يقينا أنّه قد فعل بهم مثل ما فعل به، وهكذا سائر الحيوانات، وكلما ازداد تفكرا في هذا الباب ازداد بربه يقينا "(إخوان الصفا، 2017، صفحة 83 ج4).

نفهم من خلال هذا النص ،أنّ الكون في تطور مستمر، فإذا فكر الإنسان مع نفسه ،يجد أن تركيبته من الناحية الفيزيولوجية تتطور باستمرار، بداية من مرحلة العلقة ، ثمّ المضغة واللحم ، إلى العظام، وسيدرك أن مراحل تطوره من الأدنى إلى الأعلى ومن الضعف إلى القوة ، لم يكن مسؤولا عنها، بمعنى أن هناك قوة فوقه رتبت هذه الأمور بطريقة عجيبة ومنظمة، وحتى القدرة العقلية ؛ ففي بداية نموه تكون قدراته العقلية سطحية، وتبدأ في الصعود تدريجيا حتى تكتمل قدرته العقلية،(مهدي، 2011، صفحة 164).

وإن كانت هذه القضية تعدّ إبداعا يركز فيه الإنسان، فإن ذلك حتما سيقوده إلى المبدع الأول، الذي أبدع التصرف في الكون، ومن هنا يصل إلى أنّ لهذا الكون مبدعا واحدا هو الله.

تبيانا لهذا، يقول إخوان الصفا:"واعلم أخي بأن المصنوع المحكم يدل على الصانع الحكيم، وإن كان الصانع الحكيم محتجبا عن إدراك الأبصار، وكل عاقل إذا تأمل أحوال النبات من فنون أشكال أصولها وامتداد عروقها في الأرض وتفرع أغصانها في الهواء وتقطيع أوراقها في فنون الأشكال وألوان أزهارها، يتبين له ويعلم علما ضروريا بأن لها صانعا حكيما"(إخوان الصفا، 2017، صفحة 116 ج2).

ففي هذا النص إشارة واضحة إلى كائن من كائنات الوجود وهو النبات، بما أن النبات أحد مصنوعات الله في كونه، فإن التأمل في أحوالها ودورة حياتها، وجمالها الشكلي، يأخذ الإنسان في الاندهاش والحيرة من الكائن الذي أبدع هذا الجمال. وبشكل حتمي، سيقود عقله الإنساني إلى الوصول لهذا الكائن العظيم وطبعا الله.

وتجدر الإشارة أن ما يميز برهان الفطرة عن برهان الإبداع ، أن الأول يعتمد على فطرة الإنسان دون تدخل العقل، لكن مع برهان الإبداع يكون فيه العقل الأساس، فالإنسان من خلال العقل يستطيع الوصول إلى معرفة الله عن طريق الإبداع الموجود في العالم، وهذا الطرح يلتقي مع الطرح الإسلامي بشكل كبير يقول تعالى: "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين ثمّ خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين".(سورة المؤمنون، الآية 12).

ج. برهان الحدوث:

وهو من البراهين التي استخدمها إخوان الصفا في تناولهم لمسألة وجود الله، ويعني البرهنة على وجود الله من خلال الموجودات والعالم، يقول إخوان الصفا: "فقد تبين بما ذكرناه أن جملة جسم العالم بجميع أفلاكه وأشخاصه وكواكبه وأركانها الأربعة وتركيب بعضها جوف بعض، مركبة ومؤلفة ومصنوعة وموضوعة بعضها عن بعض على هذه النسب

المذكورة المقدم ذكرها، وأن جملة جسم العالم يجري مجرى جسم حيوان واحد، وإنسان واحد ومدينة واحدة، وأن مدبّرها ومصورها ومركبها ومخترعها واحد لا شريك له"(إخوان الصفا، 2017، صفحة 185 ج1).

ومعنى ذلك ،أن الكائنات الموجودة في الخارج محدودة القدرة على إيجاد موجودات أخرى، وكذلك الموجودات الخارجية لم تأت من العدم؛ فالنقص الموجود فيها يحتّم وجود مخلوق أكمل منها، ليعطيها الانسجام والانتظام، وبالتالي عن طريق العقل نصل إلى أنّ هذه الموجودات تحتاج لصانع أوجدها من العدم، ولا يمكن أن يكون كائن ناقص، وبالتالي منطقيا نصل إلى أنّ الله خالق الكائنات، وبالتالي هو الواحد والصانع والمدبر.

د. برهان الحركة:

استخدم إخوان الصفا هذا البرهان في إثبات وجود الله، وهو يعني أنّ العالم يتحرك باستمرار، وكل ما هو موجود في هذا العالم يتحرّك، وهذه الحركة مستمرة بشكل غير محدود، وكبعد عقلي يستحيل أن تنتهي الحركة إلى لاش يء، فالضرورة العقلية والمنطقية تستدعي وجود محرك أول يحرك جميع المحركات السابقة عنه، وطبعا من خلال العقل نصل إلى أنّ الله المحرك الأول، وقد استعمل برهان الحركة العديد من الفلاسفة السابقين أبرزهم أرسطو(322-384 ق م، Aristotle)(وجيه ، 1989، صفحة 152).

ومهما يكن، فاستخدم إخوان الصفا لهذه البراهين ،هدفه التوفيق بين الدين والفلسفة . فعن طريق العقل ، يستطيع الإنسان الوصول للغاية النهائية لهذا العالم، وهي إثبات وجود الله.

2.3. نظرية الفيض وأثرها في التوفيق بين الدين والفلسفة عند إخوان الصفا:

تشكل هذه النقطة ذروة الإبداع الفلسفي لدى إخوان الصفا، لعدة أسباب منها: انتقال الفكرة من البحث الطبيعي لدى فلاسفة اليونان، إلى مجال البحث الديني في التراث الإسلامي ؛ بمعنى أنّ استخدامها لدى الفيلسوف اليوناني عرضه معرفي بالأساس، وتعبيرا عن النزعة العقلية العالية في الوصول للغايات النهائية لهذا العالم؛ أي أنّ العقل في ذلك العصر هو من تحكم في هذه النظرية، واستطاع أن يصل إلى تفسيرات مقبولة خاصة تفسير مشكلة الخلق، وكيفية صدور الأشياء وحل مشكل الواحد والكثرة.

لكن مع ظهور الأديان السماوية وتحديدا الإسلام ، حصل نوع من التأثر بالتراث اليوناني (الأفلاطونية المحدثة وتحديدا أفلوطينPlotinus(205-270 م)، وكان نتيجته نقل التصور لفكرة الفيض من الطابع المعرفي إلى الطابع الديني عند إخوان الصفا، وكل ذلك من أجل إقامة رابطة قوية بين ما هو فلسفي عقلي وما هو ديني شرعي؛ أي هناك نزعة توفيقية واضحة. مثلا نجد مبدأ في الفلسفة يقول أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، وبين الحقيقة الدينية التي ترى أن الله واحد ولا يمكن أن يكون هناك واحد آخر قبله ولا بعده، وبالتالي الله وحده تعالى خالق كل شيء (مهدي، 2011، صفحة 141).

يضيف محمد فريد حجاب: "واتبع إخوان الصفا منهجا استقرائيا من خلال استقراء الموجودات؛ حيث تبيّن لهم أنّ لكلّ موجود سببا وجد عنه، وبذلك يكون قانون السببية هذا ساري المفعول في وجود كل الكائنات في عالم الكون

والفساد، وقد أوجب هذا انتهاء هذه السلسلة من الأسباب والمسببات إلى سبب أول هو الله، وليس هذا قاصرا عند الإخوان على الموجودات الجسمانية فقط ؛ بل يسري أيضا على الموجودات الروحانية "(حجاب، 1982، صفحة 190).

ويشير صاحب النص أنّ إخوان الصفا اتبعوا منهجا عقليا استقرائيا من خلال البحث عن علل الموجودات والأسباب المحركة لكل ظاهرة في هذا الوجود، وعليه وصلوا أنّ الوجود بأكمله مليء بالعلل والأسباب المختلفة، ويستحيل أن تجد قضية ما في الوجود دون علة أدّت إلى وجودها . كذلك منطقيا وعقليا ، يستحيل أن تنتهي هذه الأسباب والعلل إلى مالا نهاية، بل يجب أن تنتهي إلى مسبب كل تلك الأسباب والعلل، وبالتالي الانتهاء إلى المسبب الأول وهو الله.

ولتبرير هذه الفكرة فلسفيا،استعان إخوان الصفا بنظرية الفيض الأفلاطونية كحل للخروج من مأزق قضية الصدور والخلق بما يتوافق مع نزعتهم الدينية الإسلامية، وقد وضعوا سلسلة الصدور تبدأ من الأعلى إلى الأدنى كما يلي:

- الله تعالى، وهو سبب صدور كل الموجودات، ويصدر عنه:
- العقل الفعال: وهو جوهر بسيط روحاني أبسط من النفس وأشرف منها ، قابل لتأييد الباري تعالى، و يصدر عنه:
- النفس الكلية: وه ي جوهرة بسيطة روحانية، علامة بالقوة، فعالة بالطبع، قابلة فضائل العقل بلا زمان، فعالة في الهيولة بالتحريك لها، ويصدر عنها:
- الهيولة الأولى: وهي جوهرة بسيطة روحانية معقولة غير علامة ولا فعالة، بل قابلة آثار النفس بالزمان منفعلة لها، ويصدر عنها:
- الطبيعة الفاعلة: وهي قوة من قوى النفس الكلية، سارية في جميع الأجسام، مدبرة لها، وتسمى النفوس الجزئية أو الملائكية، ويصدر عنها:
- الجسم المطلق ذو الطول والعرض والعمق، وهو الهيولة الثانية.
- عالم الأفلاك.
- العناصر السفلى كالنار والهواء والماء والأرض.
- المعادن والنبات والحيوان(الدسوقي، 1947، صفحة 143).

3.3. فكرة النبوة وأثرها في التوفيق بين الدين والفلسفة عند إخوان الصفا:

النّبوة من القضايا التي أولاها إخوان الصفا أهمية كبيرة في فلسفتهم لما لها من قيمة في مسألة التوفيق بين الدين والفلسفة أو بين الوحي والعقل، فكل من النبي والفيلسوف يملك خصالا تميزه عن غيره من البشر . ولعلّ أبرز الصفات التي تميز النبي والفيلسوف عن غيرهم من البشر معرفة الطريق المؤدي إلى الله. ورغم اختلاف طريق كل منهما، إلا أنهما يسعيان للوصول إلى الحقيقة النهائية عن طريق الوحي والعقل. وتجدر الإشارة أنّ إخوان الصفا يضعون النبي أعلى درجة حتى من الفيلسوف نفسه رغم تمجيد العقل والفيلسوف . والسبب في ذلك ، أنّ غاياتهم في الحياة إيجاد طرق أخرى

لفهم الدين، وقد وجدوها من خلال الفلسفة.يعرف إخوان الصفا النبوة بقولهم: "أعلى درجة وأرفع رتبة ينتهي إليها حال البشر مما يلي رتبها الملائكة، وأن تمامها في ست وأربعين خصلة من فضائل البشرية الأولى هي الرؤيا الصادقة، وهي جزء من أجزاء النبوة"(إخوان الصفا، 2017، صفحة 200 ج4).

وهذا النص الصريح ، يجعل إخوان الصفا النبوة أعلى مرتبة في الوجود البشري ؛ لأنها متميزة عن الجميع بالوحي المنزّل، والنّبي من خلال الإمكانيات التي يملكها ، يستطيع الوصول إلى معرفة الله وبلوغ الغايات النهائية لهذا الوجود . لكن ليس فقط النبي وحده من يصل للغايات النهائية لهذا الوجود ؛ بل الفيلسوف أيضا، لأن الفيلسوف من خلال اجتهاده العقلي، يستطيع هو أيضا الوصول لمعرفة الله ومعرفة الغايات النهائية للوجود، وبالتالي كلا من النبي والفيلسوف يملك القدرة على معرفة الله، أي لهما نفس الغاية ، لكن الاختلاف في الطريق المؤدية فقط، ومهما يكن من أمر فإن النبي والفيلسوف في نظر إخوان الصفا أرفع الناس قيمة في الحياة، ويمكن اعتبارهم أعلى مايمكن للإنسان الوصول إليه وهما محل شرف الإنسان على سطح الأرض، ولعل النص القادم لإخوان الصفا يوضح ذلك بشكل صريح حيث يقولون: "ثم اعلم أن العلوم الحكمية والشريعة النبوية كلاهما أمران إلهيان يتفقان في الغرض المقصود منهما الذي هو الأصل ويختلفان في الفروع"(إخوان الصفا، 2017، صفحة 366 ج4).

4.3. فكرة الظاهر والباطنوأثرها في التوفيق بين الدين والفلسفة عند إخوان الصفا:

لإتمام نظرية التوفيق بين الدين والفلسفة لدى إخوان الصفا، كان لابد أن نتناول فكرتهم عن الظاهر والباطن لما لها من قيمة في التوفيق. ولا نبالغ إن قلنا أنّ من دون هذه الفكرة ، لا يمكن للتوفيق أن يكون، والدليل أنّ رسائل إخوان الصفا بأكملها تحمل معاني رمزية وألغاز ا يصعب الوصول لمعناها الحقيقي . وما يزيد من أهمية فكرة الظاهر والباطن وعلاقتها بالتوفيق، أنّها فكرة لا تنطبق على النصوص المقدسة فقط ؛ بل تنطبق على جميع مناحي الحياة؛ بمعنى أنّ كل قضية في الحياة لها ظاهر وباطن، يقول إخوان الصفا: "فلما كان الإنسان هو جملة مركبة من جسد جسماني ظاهري جلي، ومن نفس روحانية باطنة خفية، صارت أحكام الدين والإسلام وحدود الشريعة على وجهين: ظاهر وباطن، والظاهر هو أعمال الجوارح، والباطن هو اعتقادات الأسرار في الضمائر وهو الأص ل"(إخوان الصفا، 2017، صفحة 69 ج4).

ويدل هذا النص الواضح لإخوان الصفا أنّه م جعلوا لكل قضية مهمة ظاهر وباطن ؛ فالإنسان في نظره م يحمل جانبظاهريهو الشكل الخارجي كالطول والقامة ولون الشعر والحجم الجسم وغيرها، وجانب اباطنيايحمل الضمير والأخلاق والنوايا والإحساس. وأيضا الدين له ظاهر وباطن؛ فالظاهر يكمن في العبادات والممارسات الظاهرة والحسّية، أما الباطن يكمن في النوايا الروحية والأخلاق الحميدة وحب الخير للناس وغيرها.

وأيضا القرآن الكريم في نظرهم، يحمل الظاهر والباطن؛ فالنصوص الظاهرة تحملمعاني واضحة ولا تحتاج إلى تأويل . أما النصوص المبهمة؛ فهي تحمل معاني باطنة في طياتها ، وبالتالي وجب تأويلها لاستخراج المعاني الحقيقية منها، ووفقا لقضية التوفيق بين الدين والفلسفة وقضية الظاهر والباطن، ثمّة تقابلا بين الدين والظاهر من جهة، والفلسفة والباطن

من جهة أخرى، بمعنى أن التوفيق بين الدين والفلسفة له ظاهر وباطن بالنسبة لإخوان الصفا، فالظاهر هو الدين والباطن هو الفلسفة. ولهذا حتى لا يكون تناقض بين الدين والفلسفة من جهة والظاهر والباطن من جهة أخرى، وجب تدخل آلية التأويل من أجل الوصول من الظاهر إلى الباطن، ومن الدين إلى الفلسفة، وبين كل ذلك الوصول إلى المعاني الحقيقية للنصوص المقدسة، وبالتالي فهم الوجود، ونيل السعادة المرجوة (رشاد إبراهيم ، 2001، الصفحات 648-647).

1.4.3. التأويل وعلاقته بجدلية الظاهر والباطن عند إخوان الصفا:

استخدم إخوان الصفا التأويل للخروج من مأزق التعارض بين النصوص الدينية والحقائق الفلسفية، ومعنى هذا أن التأويل خلاصة نظرية التوفيق بين الدين والفلسفة لدى إخوان الصفا. ومن خلال بحثنا نلحظ النسق التصاعدي العقلي في فلسفة إخوان الصفا التوفيقية، بداية من براهين وجود الله، ثم تناولنا فكرة النبي والفيلسوف، ثم نظرية الظاهر والباطن، وصولا إلى ذروة فلسفة إخوان الصفا العقلية من خلال التأويل. يقول إخوان الصفا: "إن للكتب النبوية تأويلات وتفسيرات غير مايدلّ عليها ظاهر ألفاظها، يعرفها العلماء الراسخون في العلم، فليسأل الملك أهل الذكر"(إخوان الصفا، 2017، صفحة 157 ج2).

ومن هذا النص، نستنتج أن استخدام التأويل بالنسبة لإخوان الصفا كان لفهم النص المبهم . ونظرا لقيمته عندهم وصعوبته، جعلوه محصورا في قلة الناس والأخيار المتميزين فقط، وغالبا ما يقصد بهم مصطلح الراسخون في العلم، وما يدلّ كذلك على أهمية التأويل بالنسبة لإخوان الصفا جعله من العلوم الشرعية في تصنيفاتهم، إلى جانب الكثير من العلوم التي أعطوها أهمية بالغة، كعلم التنزيل وعلم الرّوايات والأخبار ، وعلم الفقه والسنن والأحكام ، وعلم التذكار والمواعظ، والزهد والتصوف(إخوان الصفا، 2017، صفحة 223 ج1).

ونظرا لفلسفة الظاهر والباطن كما قلنا سابقا، فإن إخوان الصفا قدموا العديد من التأويلات للنصوص المقدسة، وغايتهم في ذلك مطابقة النصوص الدينية مع نظرياتهم الفلسفية المأخوذة من التراث اليوناني، وفي رسائلهم العديد من النماذج نذكر منها مايلي:

أ- جهنم: يؤول إخوان الصفا جهنم على أنها عالم الكون والفساد، والجنة هي عالم الأرواح وسعة السماوات(إخوان الصفا، 2017، صفحة 361 ج1).

ب- القيامة والحشر: من القضايا المهمة التي أوّلها إخوان الصفا القيامة، وقد أعطوها أربعة معاني: الأول قيام النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية والآلات الجسمانية، والثانية قيام الشرائع والآيات، وظهور قائم الزمان وقيام الدور، وبروز النفس الكلية لمحاسبة النفوس الجزئية، والثالثة قيامة القيامات، وهي مفارقة النفوس بأجمعها وإنصافها بعالم القدس، والرابعة قيام الكل بانقضاء البعثتين وانطباق المنطقتين، وحصول العلم والقدرة للنفس في العالمين وبطلان الفضول وخلع الهيولى لباس الصورة، وإليه يرجع الأمر كله(إخوان الصفا، 1970، صفحة 220).

ولذلك يربط إخوان الصفا بين القيامة ونظرية الفيض، ويبدو هذا في حديثهم عن القيامة الكبرى، وهي مفارقة النفس الكلية للفلك، وتعرض النفوس الجزئية على النفس الكلية في دورات مختلفة تمثل كل دورة منها قيامة واحدة، ويتأوّلون القرآن في ذلك بما لا دليل عليه، حسب قصدهم الباطني(مهدي، 2011، صفحة 105).

ج- الملائكة:أوّل إخوان الصفا الملائكة بأنهم كواكب، فمثلا يؤولون الآية (وترى الملائكة حافين) (سورة الزمر، الآية 75)، بأن الملائكة مثل الكواكب الثابتة الحافة على العرش والمحيطة بالفلك التاسع، ولهذا يقولون: " واعلم ياأخي أن الملائكة الحافين بالعرش هم حملة العرش، وهي الكواكب الثابتة الحافة بالفلك التاسع من داخله كما يحف الحاج بالبيت في طوافهم من خارجه، فهم يسبحون بحمد ربهم"(إخوان الصفا، 2017، صفحة 108 ج2).

د- الشياطين والجن: وجود الشياطين بالنسبة لإخوان الصفا في هذا العالم مؤسف جدا وأمر سلبي، لأن نفوسها مفسدة شريرة كانت موجودة حتى بعث الإنسان لذلك نجدهم يقولون: "وأما عفاريت الجن ومردة الشياطين ، فهي نفوس شريرة مفسدة، وقد كانت متجسدة قبل وقتا من الزمان ففارقت أجسادها غير مستبصرة ولا مهذبة فبقيت عمياء عن رؤية الحقائق، صماء عن استماع الصواب، بكماء عن النطق الفكري في المعاني اللطيفة "(إخوان الصفا، 2017، صفحة 129 ج1).

ومهما يكن فإن استخدام التأويل عند إخوان الصفا كثير جدا في الرسائل، غرضه الرئيسي التوفيق بين الدين والفلسفة، أي بين ما يؤمنون به من أراء دينية اعتقادية، ومابين ما تعلمون من نظريات فلسفية، ولكن على الرغم من محاولاتهم العميقة في تقديم نظرية جديدة في التوفيق بين الدين والفلسفة من خلال وضع التأويل كمخرج، إلا أنهم بالغوا في تصوراتهم الفلسفية، إلى درجة خروجها عن الطابع الإسلامي.

4. مذهب إخوان الصفا في التوفيق بين الدين والفلسفة:

يقوم مذهب إخوان الصفا على التوفيق بين الشريعة والحكمة أو الدين والفلسفة، وهو طريق تبعه العديد من الفلاسفة قبلهم أمثال الكندي، ولكنهم وصلوا به إلى أقصى غاياته، "فإذا كان على المرء أن يبدأ أولا بالإيمان الذي هو التصديق والإقرار بما أخبر به الأنبياء، إلا أن الإنسان العاقل لا يلبث حتى يضع إيمانه هذا موضع التفكير العقلي، وهنا يأتي دور الفلسفة"(السواح، 2016، صفحة 30).

ومن خلال ما قمنا بتحليله سابقا ، نقول أنّ إخوان الصفا قدم وا نظرية جديدة فيالتوفيق بين الدّين والفلسفة، فالسابقون أرادوا التوفيق بين الدين والفلسفة من خلال إعطاء قيمة لأحدهما، لكن إخوان الصفا لم يسيروا في نفس المنحى، وإنّما أرادوا نزع التعارض بينهما، ولم يغلبوا طرفاعلى طرف آخر. وبالنسبة لهم، المشكلة ليست في الدين ولا في الفلسفة، وإنّما المشكلة في رجال الدين والفلاسفة أنفسهم، فكما أنّ رجال الدّين غالوا في نظرتهم العنصرية اتجاه الفلسفة لدرجة إقصائها تماما، وتعطيلهم دور العقل في قراءة النصوص، فإنّ الفلاسفة كذلك غالوا في تصوراتهم الفلسفية، وتطرّفوا في استخدامهم للعقل لدرجة الخروج عن الدين. وقد أكّد ذلك إخوان الصفا في قولهم : "واعلم أيها الأخ، إنما ذهب على أكثر المتفلسفين والباحثين عن حقائق الأشياء معرفة كتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لتركهم

البحث عنها وإعراضهم النظر فيها، ولقصور فهمهم عن تصورها، لأنها مأخوذة عن الملائكة الذين هم في الملأ الأعلى وأهل السماوات وسكان الأفلاك "(إخوان الصفا، 2017، صفحة 243 ج4).

ويبيّن هذا النّص أنّ إخوان الصفا رغم منهجهم العقلي في الطرح وتمجيدهم للفلسفة ، إلا أن ذلك لا يمنع من انتقادهم للفلاسفة، وكل ذلك حماية للدين من التزييف والمبالغة في الطرح . وإذا أردنا أن نختصر مذهب إخوان الصفا، والتأكيد على عدم تغليب طرف على طرف آخر، نضع النقاط الآتية لنبين أسباب التوفيق لدى إخوان الصفا:

- غاية الدين والفلسفة واحدة ؛ فكلا من الدين والفلسفة جاء لخدمة الإنسان وتحريره من التقليد، فالدين مجموعة من الأسس والقواعد التي تحاول تحسين ظروف الإنسان سواء النفسية أو المادية أو الروحية، وكذلك العقل أتى ليحرر الإنسان من الخرافات التي لحقت به جراء الفهم الخاطيء للدين، و تمكينه من القدرة على التفكير، وتجاوز كل ما هو خرافي.
- اعتبار النّبي فيلسوف قبل أن ينزل عليه الوحي؛ بحيث لو لم يكن نبيّا لظلّ فيلسوفا، وعلى هذا يقوم التوفيق بين ما كان يعرفه النّبي كفيلسوف، وما كان يعرفه كنبي، وهنا إشارة أنّ النّب وةأعلى مرتبة يصلها الفيلسوف ؛ لأنّ مهامه تصبح مضاعفة، فبالإضافة إلى العقل، أصبح لديه الوحي كقيمة آتية من الله.
- كذلك الدين والفلسفة ، يحاولان الإجابة على تساؤلات البشر المختلفة، منها: من خلقنا؟ وما مصيرنا بعد الموت؟ وغيرها من الأسئلة المختلفة .وهذه الأسئلة لن تنتهي بانتهاء الإنسان، كذلك الدين والفلسفة يسعيان لبلوغ الحقيقة النهائية لهذا العالم، وكذاك الدين والفلسفة لهما نفس المصدر وهو الله.

ومهما يكن من أمر ، فإن إخوان الصفا حاولوا تقديم طرح جديد في التوفيق بين الدين والفلسفة . ورغم الأخطاء التي وقعوا فيها نتيجة التأثر الكبير بالنظريات الفلسفية السابقة، إلا أنهم بحثوا وحاولوا في تقديم تصور طرح جديدة، بل كانت محاولتهم في التوفيق متقدمة على غيرهم من الفلاسفة وخصوصا في التراث الإسلامي، ودليل ذلك تأثر الكثير من الفرق بآرائهم ، ونخص بالذكر لا الحصر، تيار الإسماعيلية والباطنية.

5. خاتمة:

من خلال تناولنا لهذه الورقة البحثية، نوجز النتائج الآتية:

– أنّ إخوان الصفا في تناولهم لمسألة التوفيق بين الدين والفلسفة قدّموا طرحا جديدا يختلف عما طرحه الفلاسفة قبلهم، فمثلا نجد الكندي يعطي الأولوية للدين إن وجد تعارض بينه وبين الفلسفة، ونجدها كذلك عند أوغسطين في الفكر المسيحي، في المقابل نجد تيار المعتزلة يعطي أولوية للعقل إن حصل التعارض بين الدين والفلسفة، وقد سار فيلون السكندي قبلهم في هذا الاتجاه، في مقابل ذلك لم يعطي إخوان الصفا أولوية طرف على طرف آخر بل عمدوا لنزع التعارض بينهما وإثبات أنّ كل من الدين والفلسفة مصدرهما واحد وغايتهما واحدة ، وإن اختلف منهج كل منهما.

– أن الإلهيات محور عملية التوفيق بين الدين والفلسفة لدى إخوان الصفا، ولهذا نجد فكرة الله محور فلسف تهم؛ بل الركيزة الأساسية في عملية التوفيق، ولهذا أفردوا براهين وجود الله للدفاع عن وحدانية الله وتنزيهه عن أيّ قضية مادية وحسية، وأيضا إقناع الآخر غير المؤمن بوجود الله.

– أن إخوان الصفا سعوا لتقديم براهين أغلبها عقلية والغاية إثبات وجود الله دون الحاجة إلى وحي أو نصوص دينية، والطريقة الوحيدة لذلك العقل، حيث من خلاله يستطيع الإنسان الوصول لمعرفة الذات الإلهية والبرهنة على وجودها، وبالتالي يمثل العقل الطريق الثاني لمعرفة وجود الله بعدطريق الوحي والنص الديني.

– أن مسألة النبي والفيلسوفقضية مهمة لعملية التوفيق بين الدين والعقل لدى إخوان الصفا، فمن خلال فكرة النبي والفيلسوف يصل الإخوان إلى نزع التعارض بينهما، حيث كل منهما يقود إلى حقيقة واحدة وغاية واحدة، فالنبي سلاحه الوحي المنزل من قبل الله، وأيضا النصوص التي يجب عليه اتباعها، وأعلى مرتبة يصلها البشر، في المقابل هناك الفيلسوف وسلاحة العقل فعن طريق التعقل والاستدلال والبرهان والاستنتاج، يصل إلى الغايات النهائية لهذا العالم وأهمها معرفة وجود الله، ولذلك الفيلسوف وضعته جماعة إخوان الصفا في المرتبة الثانية بعد النبي مباشرة لما له من أهمية كبيرة وخصائص عديدة تميزه عن البشر العاديين.

– أنّ الظاهر والباطن فكرة مركزية عند إخوان الصفا، حيث أرادوا من خلالها الكشف عن المعنى الباطن المضمر داخل النصوص المقدسة. ولا يتم التوفيق بين الدين والفلسفة إلا من خلال فكرة الظاهر والباطن، و هي بدورها تقودنا إلى القضية الحاسمة التي تتمثل في التأويل وسياقاته.

6. قائمة المراجع:

1. إخوان الصفا. (2017). *رسائل إخوان الصفا*. ويندسور، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي.
2. إبراهيم،محمد رشاد إبراهيم . (2001). فلسفة التأويل عند إخوان الصفا. *مجلة كلية الآداب بقنا، 10* (11).
3. فؤاد معصوم. (1988). *إخوان الصفا*. بيروت.: دار المدى للثقافة والنشر.
4. إخوان الصفا. (1970). *من ثرات إخوان الصفا*. بيروت، لبنان: منشورت دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر.
5. إسماعيل عجوب. (2010). *منال الإنسان والأدب في رسائل إخوان الصفا*. دمشق.: الهيئة العامة السورية للكتاب.
6. عبد الله أحمد وجيه . (1989). *الوجود عند إخوان الصفا*. مصر: دار المعرفة الجامعية.
7. عبده أبا زيد صابر. (1994). التوفيق بين الدين والفلسفة عند إخوان الصفا. *مجلة كلية الآداب بقنا، 3*(3).
8. عمر الدسوقي. (1947). *إخوان الصفا*. مصر: دار إحياء الكتب العربية.
9. فراس السواح. (2016). *طريق إخوان الصفا المدخل إلى العنوصية الإسلامية*. سوريا.: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
10. فريد حجاب. (1982). *الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
11. محسن مهدي. (2011). *إخوان الصفا وفلسفتهم الدينية*. ، الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع.
12. محمد يوسف موسى. (2017). *بين الدين والفلسفة*. ويندسور، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي.